المقارناتُ الجمالية في شعر أبي تَمّام

مدخل:

لم يكم ظهور ابي تمام في القرنين الثاني والثالث الهجريين حدثاً عابراً يُحتفل بهِ كولادة اي شاعر آخر برز في القبيلة ، وانما كان انعطافةً كبرى في الشعر العربي ، فقد هزّ ظهورهُ شجرةَ الشعر العربي واسقط عنها الكثير من اوراقها الصفراء بعدما سقاها من فكره وتجربته ماءَ التجديد لتكسي فروعها باغصان جديدة ، وزهور بديعة ، وهذا لا يعني انه كان صاحب تجربة التجديد منفرداً ، وانما سبقهُ شعراء وعاصره آخرون ولكنه كان المميز في الحداثة من بينهم (١) .

لقد كان ابو تمام مغامرًا، واخذ على نفسهِ مهمة خوض مغامرة الحداثة ‘في عصر كان يعج بالنهج التقليدي . كماكان ابو تمام صاحب مشروع ، يحتاج الى مغامرة كبرى قد يضحي فيها بمستقبله الشعري ، تلك المغامرة التي كان يطمح فيها ان يغير ويجدد ، وبهذا كتب على نفسهِ المواجهة مع ذاته والآخر‘ بكل ما تحمل هذهِ الكلمة من معنى ، ولعل اول ما تحمله مفردة الآخر المثقف بثقافته العربية البدوية التي تريد للشعر ان يبقى يحاكي الوجدان والمشاعر والبساطة ، بينما كان ابو تمام يطمح الى ان يكون شعره عقلياً وجدانياً وكان يريد بشعره ان ينهض بالعقول لا ان يُغيب الوعي فقط يقول : (٢).

ولم أرَ كالمعروف يدعى حقوقهُ مغارم في الاقوام وهي مغانمُ

ولا كالعلى ما لم يُرَ الشعر بينها فكالارض غفلاً ليس فيها معالمُ

وما هو الا القول يسري فتقتدي له غرر في اوجهٍ ومواسمُ

لقد آمن ابو تمام بان الشعر يصنع القيم الكبرى ويربيها ويبنيها حتى تكون سنة يقتدي بها من يطلب العلا : (٣)

ولولا خلالٌ سَنها الشّعر ما درى بغاةُ العلا من أين تُؤْتى المَكارمُ

ان الشعر عند ابي تمام قيمة وتواصل ومجد وليس ترويحا للنفس او عملا عابرًا ، انهُ يحمل اسمهُ .. ويمثله اخلاقيا وفنيًا . ولانّ أبا تمام كان مغرمًا بكل جديد ، ولانه كان يريد الاستمرار والبقاء كان يريد ان يدفع عن نفسهِ فكرة البساطة والتلقائية والبحث عن العمق والرسوخ وهذا الرسوخ لا يكون الا بالفكر لان العاطفة تزول بزوال المؤثر ، وهذا لا يعني انهِ جرد شعره من الوجدان ، و انّما اراد العقل يتقدم في احيان كثيرة حتى يضمن له الاستمرار والبقاء يقول : (٤)

غرائبُ لاقت في فنائك أنَسها من المجد فهي الآن غير غرائبِ

ولو كان يفنى الشّعر افناه ما قرَتْ حياضك منهُ في العصور الذّواهبِ

ولكنه صوبُ العقولِ اذا انجلت سحائب منه أُعقبت بسحائب ۞

فهو يصرح هنا بالكثير مما كان يعتمل داخلهُ. منها ان قصائده غريبة في ،وعندما نجد ما يجعلها في مكانها فهي تلافي انسها وتكون في الصعود الباحث عن البقاء والمجد . ومن ثم يجعل الشعر دورة طبيعية في الحياة مستمرةً ، فهو لا يفنى ، ولو كان كذلك لافنتهُ عطايا آباء الممدوح واجدادهِ ولكنه ينهمر مطرًا ليجدد سحائبا تتبعها سحائب وهكذا ، فاذا ما اخذنا مفردة السحاب والمطر التي تدل على الخير كما وردت في القرآن الكريم والتراث ادركنا كم كان يعني هذا الشعر بالنسبةِ لابي تمام .

لقد كان ابو تمام يعاني من المحيط والفكر السائد فيه ، لذا كان يفكر كيف يستمر ويواجه ، بل كيف يستمر حتى بعد موته . لقد شغلته فكرة الخلود والبقاء والاستمرار وتحدي الزمن ، ولعل هذا ما شاع في جوانب عدة شغلت الباحثين منها الثنائية ففيها اعتقد ابو تمام انها تكفل له البقاء مثلما كفلته لنفسها كناموس من نواميس الكون ، وان ما يضمنها في شعره منها ضمان للاستمرار ، ويبدو انه استمدها من احدى الديانات القديمة وهي الديانة الثانوية لكنه تجاوزها الى الوان متعددة من التقابل والتوازي والتناظر وعلى مستويات عدة (٥) .

كذلك فتح الباب واسعًا للمجاز والاستعارة والكناية والبديع حتى اتهم بالافراط فيها لذا وقفوا باحثين ومعقبين ومحللين عند ابيات كثيرة حتى اصبحت اعلامًا في النقد (٦) يقول :

لا تسقني ماءَ الملامِ فانّني صبٌّ قد اسْتَعذبتُ ماءَ بُكائي

ويقـــــول : (٧)

كادتْ لعرفان النوى الفاظُها من رقةِ الشّكوى تكونُ دموعا

ويقـــــول : (٨)

وضياءُ الآمالِ أفسحُ في الطرف وفي القلب من ضياء البلادِ

حتـى عـدَّ اول واكبـر الخـارجين علـى مـا يعـرف بعمـود الشـعر فأثـار النقـد حتـى قـال ابـن الاعرابـي ((ان كـان مـا يقولـه شـعرًا فكـرم العـرب باطـل)) (٩) ولعـل واحـدًا مـن المفاصـل الشـعرية التـي اسـتهوت أبـا تمـام هـو تلـك المقارنـات والمنـاظرات الجماليـة التـي عـج بهـا العصـر العباسـي واسـتغلها ابـو تمـام اذ لـم تكـن بعيـدة عـن طمـوح ابـي تمـام الشـعري الحـداثوي .

لقـد اتعـب ابـو تمـام مناظريـه فـي البحـث عـن الافـاق الجماليـة الذوقيـة والتـي كـان يطلـب مـن الآخـر ان يصـعد اليهـا ضـمن بحثـه الـدائم والـدائب عـن متلـقٍ يرتفـع الـى مسـتوى شعره (١٠) .

المقارنات الجمالية في شعره:

تعـد المقارنـات الجماليـة واحـدة مـن اوجـه انجـاز ابـي تمـام الشـعري ، والتـي سـماها البلاغيـون مـرة بالمـذهب الكلامـي (١١) فـي حـين درسـها الجرجـاني ضـمن وسـطية التوجـه الشعري بين كد ثاني يعد ثمرة مهمة وبين كد وتعب وتكون الثمرة خيبة امل .

لقـد حـاول ابـو تمـام ان يصـنع لنفسـه فـي رسـالةِ لمتلقيـه البرهـان حتـى يسـتحوذ علـى اهتمـام متلقيـه بـأن مـا يقولـهُ يرتقـي الـى معـان الحقيقيـة وهـذا لا يـأتي الا بالبرهنـة ، والمقابلـة بـين طـرفين احـدهما مـا يـدعي والآخـر البرهـان علـى مـا ادعـى وكلاهمـا يضـعهما داخـل ساحة من التوتر الشعري.

قـدم ابـو تمـام جملـة مـن القـيم الفنيـة فـي سـعيه الـدائب علـى تثبيـت مـا يقـول ، ولا ننسـى هنـا ان ابـا تمـام كـان يعمـل ضـمن سـياق مقـدس مـع القصـيدة التـي بقيـت محافظـة علـى شـكلها وبناهـا الفنيـة ((ولـئن حـافظ ابـو تمـام علـى الشـكل الخـارجي لبنيـة القصـيدة التقليديـة ، فلقـد

غير نواته الاساسية ، الكلمة وغير علاقات الكلمة الصوتية والدلالية ، ولهذا لم يعد الشكل عائقًا دون بروز هذهِ العلاقات ، بل اصبح على العكس عنصرًا حسيًا يزيد من بروزها ، فلقد فجره من داخل بتركيبه اللغوي الجديد)) (١٢) .تعدد المقارنات الجمالية في شعر ابي تمام يمكن ان نحددها بالاشكال الاتية:

١ – مقارنات الحدث

لعل هذا اللون من المقارنات الجمالية يرتقي الى ان تكون انموذجًا يوضح شعرية ابي تمام ، اذ انه يقدم الحدث او الاسم او الشخصية او الزمان او المكان في تصور واستخدام جمالي رؤيوي .

وهو حين يقدم الحدث هنا لا يقدمه بشكل تقريري ، وانما يقدمه ضمن رؤيا شعريا متكاملة فقد كان ابو تمام مثقفًا ثقافة واسعة ولديه اطلاع واسع على التراث والاحداث بل ان هذهِ الاحداث كانت متشربة في داخل شخصيته لذا كان يستمد منها قيما راسخة . فهي منهل ثر وثورة في داخل النص بحيث يستغل المكنونات المخزونة في هذهِ الاحداث ويوظفها في شعره (١٣) .يقول في مدح ابي دلف العجلي في قصيدة مطلعها : (١٤)

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

منهـــــا :

اذا افتخرت يومًا تميم بقوسها وزادت على ما وطّدت من مناقبِ

فأنتم بذي قارأمالتْ سيوفكم رقاب الذين أسترهنوا قوسَ حاجبِ

محاسن من مجدٍ متى تقرنوا بها محاسنَ اقوام تكن كالمعايبِ

يقوم ابو تمام بصنع معادلة من طرفين ، ويمسك بعصا التوازن حتى يحافظ على الخط الوهمي بين الجانبين ، لكنه وضمن هذا السعي في الجمع بين الحادثين يخرج بالمحصلة التي تقنع المتلقي ، بل وتستحوذ على كل اهتمامهِ وشعوره ، انه يقدم له موجة من التداعيات التي تجعله ينفعل معها لكن بعد ادراك الحادثتين .. انه يحاول ان ينفلت من اسلوب المدح التقليدي العمل على التفكير والمقارنة التي ابنة عصر العباسي . وبهذا يخلص ابو تمام لنصهِ ولشعره من خلال الاحالة الى مدلولات خطابية مضافة ، لذا ترى

جوليا كرستيفا ((بان المدلول الشعري يميل الى مدلولات خطابية مغايرة يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري)) (١٥) وهكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشعري ، وهو الذي تسميه كرستيفا (فضاء متداخل نصيًا) .

هناك توظيف آخر للمقارنات الحديثة حينما يقدم ابو تمام اعتذارًا لاحدى الشخصيات ، ولان ما يعتمل في داخله كبير ، لذا يستحضر حدثًا معادلاً مساويًا لما يريد ان يقدمه حتى يدفع عن نفسه ما الصق بهِ ، لكن الشعر بالتأكيد تجاوز للحدثين معًا ، اننا هنا ننظر الى حدث سابق اصبح بنية سردية استعانت بنية سردية سابقة ، فالعمل الادبي كما تقول يمنى العيد ((يضاء العمل الادبي حين نرى الى مرجعه نرى المرجع تميّزًا ادبيًا ، ينهض من متخيّل من ذاكرة ، وذاكرة تستقلّ عن واقع مادي،تستقلّ عنه ولكن به تستغل حاملة اثرًا دلاليًا للموقع الذي منه نهضت هذه العلاقة بين الفرد والواقع المادي والاجتماعي وتحولت ذاكرةً)) (١٦) .يقول ابو تمام : (١٧)

لهم جهل السّباعِ اذا المنايا تمشّتْ في القنا و حُلومُ عادِ

لقد انست مساوي كلَّ دهرٍ محاسن احمد بن ابي دؤادِ

ثم يقول :

اتاني غائرُ الانباء تسري عقاربهُ بداهية نآدِ

نثا خبرٍ كأنّ القلبَ امسى يُجر بهِ على شوك القتادِ

تثبتْ ان قولاً كان زورًا اتى النعمانَ قبلك عن زيادِ

وأرّث بين حي بني جلاحٍ سنا حربٍ وحي بني معادِ

وغادر في روف الدهر قتلى بني بدر على ذات الاحادِ

يقوم ابو تمام هنا بمقارنة ثقافية يكسر فيها حواجز التوقع ويذهب ليقدم مقارنة سوف نعلم فيما بعد لمَ اختارها ، لكن لنتأمل بالمقارنة الاولى عندما جعل لقبيلة الممدوح جهل السباع ، وحلوم عاد ، فهو يجعل منهم في وقت البأس لا يعرفون الا القوة . ولان القوة هنا مصورة اكبرمما تكون في الاسود لذا حرص ان ينسبهم لها وكذلك الحلوم . لكن المدهش هنا انه اعاد انتاج بيت الفرزدق بمقارنة نصية محكمة بقول الفرزدق : (١٨)

احلامنا تزن الجبال رزانة وتخالناجنا اذا ما نجهلُ

انـه يتنـاص مـع قـول الفـرزدق لكـن الادهـاش فـي تركيـب الصـورة ، فهـم يكونـون بهـذا الجهـلِ اذا غشـت المنايـا فـي القنـا ، ولهـم حلـوم عـاد علـى طريقـة التشـبيه لكنـه يشـير الـى شـيء آخـر مـن التـراث وبتنـاص معـه ، اذ جـرت العـادة ان يصـفوا قـوم عـاد بـالحلم بقـول زهير (١٩) :

اذا وزنتَ بني ابيه بمعشر في الحلم قلتَ بقيةٌ من عادِ

وهنـا تنـاص آخـر يواريـه ابـو تمـام بدقـة تصـويره وبعمـق ثقافتـه ، انـهُ يقـدم صـياغة فنيـة علـى صـياغات فنيـة سـابقة . فهـو يقـارن جماليـًا حتـى يجعـل المتلقـي داخـل دوامـة مـن الانثيـالات الجماليـة المسـتمرة حتـى اننـا نشـعر بقـدره علـى استحضـار التـراث والاخـذ ((مـن المـوروث بـل علـى ضـرورة هـذا الاخـذ ، ولا معنـى فـي ان يـزعم احـد عكـس ذلـك ، لان المـوروث قـوة لا شـعورية مثلمـا هـو قـوة شـعورية ، ومهمـا رفعنـا الجانـب الشـعوري فـان اللاشـعوري يظـل مفروشـًا فـي داخلنـا يحركنـا ويطبعنـا بطابعـهِ)) (٢٠) وهـو مـا دأب ابـو تمـام علـى الايتـان بـهِ فـي نصوصـه الشـعرية ، ظننـًا منـه كـل نـص خالـد يحقـق لنصـهِ الخلـود . وهـو يعـود بنـا الـى نفـي كرسـتينا وجـود نـص مسـتقل بنفسـه منعـزل عـن غيـرهِ ، فـلا بـد مـن مـداخلات نصـوص اخـرى الـى ان تقـول ((ان كـل نـص هـو عبـارة عـن لوحـة فسيفسـائية مـن الاقتباسـات ، وكـل نـص هـو تسـرب وتحويـل لنصـوص اخـرى)) (٢١) لكـن هـل وصـل ابـو تمـام الـى هدنـة هنـا فـي هـذا الـنص ؟ ومـاذا يريـد بعـد هـذا الخلـط فـي المنظومـات الثقافيـة التـي تجعل المتلقي يستسلم لما يريد ان يقول ثم يتبع ذلك بقوله : (٢٢)

تثبّت انّ قولاً كان زورًا اتى النّعمان قبلك عن زيادِ

وأرثَّ بين حبي بني جُلاح سنا حربٍ حي بني معادِ

وغادر في حروف الدهر فتلى بني بدر على ذاتِ الاحادِ

فهـو هنـا يـوازن بـين حالتـه معتـذرًا وبـين حالـة النابغـة الـذبياني معتـذرًا ايضـاً وهـي موازنـة احـداث ومواقـف وكأنـه يعمـل علـى موازنـة عقليـة موضـوعية بـين حـدثين مقاربتهمـا الاعتـذار . ولكـن وبالتأكيـد الغايـة تتجـاوز الاعتـذار الـى اظهـار مقـدرة ابـي تمـام فـي البنـاء الجمـالي العقلـي انـه يغـادر منطقـة الـذوق والوجـدان الـى اقنـاع المتلقـي جـدلاً وهـي لغـة

العصر العباسي التي دأبت على الجدل والاقناع والمناظرة وابو تمام ابن الحاضرة العباسية التي تزخر بهذا اللون من الاقناع الفني لهذا يقول احد الباحثين (غير ان الحساسية المدنية وقوة التعبير عنها تجليا على الارض عند ابي نواس وابي تمام ، انهما يشتركان في رفض القديم ولكن . كلاً منهما سلك في ابداعه وتجديده مسلكًا خاصاً .. ونظر ابو تمام الى العالم كما هو وعاشه كما هو لكنه تجاوزه وخلق عالماً فنياً ، وهكذا اتخذت الحداثة عنده بعد الخلق لاعلى مثال ، بينما اتخذت عند ابي نواس بعداً مجازياً رمزياً)) (٢٣) .

ان طبيعة المقارنة على مستوى الحداثة مستوى سردي يجعل المتلقي يكون في اعلى درجات الاقتناع بما يقول . هذا جانب ثم الجانب الاخر الجمالي الذي يحيل الى التداعيات التي يحملها النص الاول الحامل للحداثة والمتضمن لها والذي يفتح نوافذ متعددة من المتعة والاقناع النفسي يقول في مدح مالك بن طوق التغلبي وكأنه اخذ على عاتقه القيام بمهمة حساسة وخطيرة في الوقت ذاته وهي دفع الممدوح الى الصفح عن مجموعة من قومه ارتكبوا عملاً اعقبه وبالقدر التي تكمن فيه حساسية الموقف يرتفع ابو تمام بقابلية الاقناع لدى الممدوح والمتلقي معاً يقول (٢٤) :

للجود بابٌ للانام ولم تزلْ يمناك مفتاحًا لذاك الباب

ورأيت قومك والاساءة منهم يرحى بظفر للزمان وناب

هم صيروا تلك البروق صواعقا فيهم وذاك الصنو سوط عذابِ

فاقل اسامةَ جُرجها وامنح لها عنهم وهب ما كان للوهابِ

رفدوك في يوم الكلاب وشققوا فيهِ المزاد بجحفل غلّابِ

فابو تمام هنا يقارن بين حدثين بين ما فعله رهط الممدوح وبين عمل اجدادهم السابق مع آباء الممدوح يقوم بهذا ضمن مستوى ثقافي قبائلي معروف في تلك الفترة . اذ يوضح الشارح ان يوم الكلاب كان بين الملكين شرحبيل بن الحارث عم امرئ القيس واخيه سلمة بن الحارث وفيه قتل شرحبيل قتله ابو حنش عم ابن النعمان التغلبي وكانت بنو تغلب مع سلمة وكان تميم مع شرحبيل .

وانما عدنا الى هذه التفاصيل السردية ، التي يعمد ابو تمام الى مواراتها في نصهِ على اعتباره ِ منظومة ثقافية ، كان ابو تمام ملما بها الماما دقيقا ، وينهل منها بجعل الممدوح يصل الى قناعة بان ما يقوله ينبع من تجربة حيةٍ . يضاف الى هذا ما تحمله هذهِ الاحالة من اقناع للمتلقي والممدوح معا بان ما يقوله هو مزاوجة بين العقل المستمد من حوادث الواقع ، وبين الوجدان الذي يصوغ ادابه بدافع منه كل هذا يأتي ضمن فلسفة ابي تمام ، وايمانه بان الشعر يخفي الواقع الى عوالم من التخيل .

هكذا امتزج في توجه ابي تمام عقل جدلي نافذ ومقارن مع خيال عميق من ذات توصية متحسسه . انه يمتلك قدرة على تحويل ما هو تقريري وتاريخي الى ما هو شعري ، فهو يضفي عليه مسحة فلسفية تعمق هذا الاحساس والتفكير معا : ((ان الحاجة للفكر الفلسفي والتأملي لا تكمن في تبرير ما هو قائم او تبرير ما يتغير ايا كان ، بل هو تجاوز ذلك ، والولوج في صلب ما هو قائم ، وما يتغير لان الافكار الفلسفية تكتسب طابع الضرورة في كل قضايا الوجود ، واشكالات الانسان وبذلك يتبلور اهمية الحيز الفكري في كل فن او ادب عظيم)) (٢٥) وهذامايلاحظ في فن ابي تمام دون غيره من شعراءعصره يقول : (٢٦)

اسبلْ عليهم ستر عفوكَ مفضلا وانفح لهم من نائلٍ بِذنابِ

لكَ في رسول اللهِ اعظمُ اسوةٍ واجلها في سنةٍ وكتابِ

اعطى المؤلفةَ القلوبَ رِضاهُمُ كرمًا وَرَدَّ اخايذ الاحزابِ

وهنا نلاحظ ان ابا تمام يقوم بمقارنة جمالية اخرى قوامها الحدث وهو يوازن على مستوى الفعل بين حالتين جاعلاً عمل رسول (ص) مثالاً . وهو بهذا يحاول كسر النسق الثقافي القائم على الانتقام متحولاً الى نسق ثقافي آخر وهو نسق العفو في زمن وفي دولة غدا العفو فيها عملة نادرة جدًا . وكأنه يرفع بالممدوح الى التعبير بعالم ارحب واكثر بقاءًا واستمراراً ، ولكي يقنع المتلقي قرنه بفعل الرسول (ص) حين اعطى المؤلفة قلوبهم (٢٧) من الغنائم في حين رد الاخرين من الاحزاب .

((ولعل النهج الذي ينبغي ان يتبعه هو ان نعود الى السؤال الذي وضعناه آنفًا وندققه هكذا ، كيف يعلل الشاعر انتاجهُ ؟ الى اي حدٍ يوحد هذا التعليل في ثنايا الانتاج نفسهِ ما الداعي الى هذا التعليل ؟ كيف تندمج حياة الشاعر ضمن هذا التعليل)) (٢٨)

المقارنة على مستوى الاشخاص :

هذا لون آخر من المقارنات الجمالية عند ابي تمام ، فهو يعتمد هنا على الشخصيات بما تحمله من حضور لفاعل في ذاكرة المتلقي ، وهي لم تكن قد اصبحت بنية راسخة لولا افعالها الايجابية او السلبية وبما تمثله من افق ثقافي يحضر ليكون نسقًا ثقافيًا ومعرفيًا يدفع بهِ ابو تمام باتجاه التأثير وكأنهُ بالقدر الذي أثر كمنتجٍ للنص ارتفع بمستوى الرسالة وبالتالي سوف يكون مرتفعًا بالافق الثقافي والمعرفي لدى المتلقي .

فابو تمام الذي ركب روح المغامرة العقلية ((يمتاز بأنه اكثر شعراء عصره جدًا ، فلما يهزل ، او يتخذ الشعر طريقًا للعبث او اللهو ، ومفهوم الشعر عنده عقلي ، وان الشعر عنده لا يقال الا في الموضوعات الجسام)) (٢٩) .

استخدم ابو تمام الشخصيات بمختلف اشكالها منها الدينية كالانبياء وهذهِ الشخصيات لها دلالاتها الكبرى التي منحها القرآن حضورًا شموليًا بحيث اصبحت فضاءات واسعة من التأثير والتأثر (٣٠) .

يقول ابو تمام (٣١)

انّ ابنَ يوسفَ نجّى الثغر من سنةٍ اعوام يوسفَ عيشٍ عندها رغدُ

فهو يقارن بشكل جمالي ، ولكن بنسقٍ ثقافي قوامه الشخصية بين اعوام ابي سعيد محمد يوسف الطائي وبين ايام النبي يوسف (ع) التي اخبر بها ومَرَّت بها مصر . لكنه يصوغها بطريقة سلب السلب فحولها الى فعل موجب ثم قرنها بايام يوسف (ع) ، وبعد ذلك خلص الى ان هذهِ الاعوام اذا ما قورنت باعوام النبي يوسف لكانت اعوام رغدٍ بالنسبة لها على سبيل المبالغة التي حفل بها الشعر والشعر العباسي خصوصًا ضمن سعي الشعراء الاتيان بما هو جديد لهذا قد تزل بهم اقدامهم الى مبالغات كثيرة .

هناك المقارنات على مستوى الشخصيات الادبية : يقـــــول مثلا : (٣٢)

ما ربعُ ميةً معمورًا يطيف بهِ غيلانُ ابهى ربى من ربعِها الخربِ

ولا الخدودُ وقد أدمينَ من خجلٍ اشهى الى ناظري من خدها التربِ

فهو يعقد مقارنة على المستوى الثقافي والمعرفي بين الواقعة وبين شخصيات مختزلة في الذاكرة الجمعية ويجعل نفسه معيارًا فنيًا في التفضيل ، فهو يقارن المكان مع المكان ، بعد ان احرقت الارض واصبحت سوداء وحالها خرب قرنها بربع مية حبيبة غيلان (ذو الرمة) ثم عمد الى المقارنة بين ربع مية وهو في اوج ازدهاره ، وذو الرمة يجول فيه ، وبين ربع عمورية الخرب ليخلص من خلال معيار ذوقي الى ان ربع عمورية اشهى ، وهنا تتصاعد المستويات الفنية ، اذ تتصاعد الاستعارة لتقدم المقارنة المحسوسة بالذوق ، فاذا ادركنا ان تراسل هو لون آخر من الوان الابداع الخيالي حين تشتغل حاسة بدل اخرى (٣٣) ادركنا مدى الخيال البعيد الذي يدفع به ابو تمام الى هذه المستويات من التخييل ، ثم ينتقل الى مقارنة اخرى وان كانت وان لم تكن على مستوى الشخصيات ، ولكن لها علاقة مباشرة بذكر المقارنة الاولى وهي المختصة بذي الرّمة . فخدود الفتيات الجميلات التي تدمي من الخجل تقارن بتحد عمورية الترب ، فان نظرنا ما في الاستعارة من بعد جمالي مع ما في المقارنة من ابعاد اخر ادركنا مدى طموح ابي تمام الفني في الاتيان بما هو غريب واسطوري .

يقـــول : (٣٤)

من المعطيات الحسن والمؤتياته مجلببة او فاضلاً لم تجلبب

لو ان امرئ القيس بن حجر بدت له لما قال مُرّا بي على ام جندبِ

هنا يستحضر شخصية ادبية اخرى فاعلة على مستوى الوعي الجمعي وهو امرؤ القيس ، ويعمل معه على تناص يستحضرفيه قول امريء القيس (٣٥) :

خليلي مُرّا بي على ام جندبِ لنقضي لبانات الفوآد المعذبِ

بيد ان المقارنة النصية هنا تبدأ من فتح النافذة على شخصية امريء القيس ، مقارناً اياها بشخصية الشاعر نفسه من خلال سلب ما قاله امرؤ القيس (لما قال مُرّا بي) ((من هنا نصبح امام شاعر وقاريء ، سيان ازاء عملية تفاعل النصوص لارتباطها بفكرة إعادة انتاج النص ، فالشاعر يأخذ دور القاري المنتج ، وليس متلقيا المادة التي يقرؤها فحسب ، وانما يتمثل مما يستقيه ويسكبه في قالبه الخاص . اي عليه ان ينتج لغتهُ بعد غسلها من آثار غيرهِ وبمنظور آخر ، ما يحتم على الكاتب فعله هو هدم المظاهر اللغوية المستوحاة من مصادر غيره ثم اعادة بنائها وفقًا لرؤآه ومبتغاه الخاص)) (٣٦) .

يقـــول : (٣٧)

اما القوافي فقد حصنت عذرتها فما يصاب دمٌ منها ولا سلبُ

منعت الّا من الاكفاءِ ناكحها وكان منك عليها العطف والحدبُ

ولو عضلت عن الاكفاء ايمهما ولم يكن لك في اطهارها اربُ

كانت بنات نصيب حين ضنّ بها عن الموالي ولم تحفل بها العربُ

يعقد ابو تمام هنا مقارنة بين شعره وبين بنات نصيب حين رفض تزويجهن لاعتقاده بعدم وجود من هو كفواً لهن ولكن ابا تمام هنا يستخدم الفعل السلبي لما هو ايجابي وكانه يقنع الممدوح والمتلقي بأنه صان قوافيه على ممدوح ليس بكفء لها وهو يسعى في هذا على اعتبار ان الشعر يمكنه من الناحيتين الاخلاقية والفنية لهذا لا بد ان يعلق على الممدوح المناسب وهذه محاولة لايهام الممدوح بان ما يقوله صادقًا ولكي يثبت هذا فأنه يعمد الى المقارنه الثقافية ، وصولاً الى ما هو جمالي حين يقرنها ببنات الشاعر نصيب ، ونحن نعتقد بأن اختيار نصيب هنا كان مقصوداً لغرض اساس هو انه شاعر سابق وقد اكد حضوره في الذكرة الثقافية وبهذا يعد استحضاره ضرباً من الجمال المضاف للنص .

يقول في الدالية التي مطلعها (٣٨) :

أرايت اي سوالفٍ وخدودِ عنّت لنا بين اللوى فزرودِ

مالي بربعٍ منهم معهود الا الاسى وعزيمة المجلودِ

ان كان مسعودٌ سقى اطلالهم سبلّ الشؤون فلست من مسعودِ

ظعنوا فكان بكاي حولاً بعدهم ثم إرعويت وذاك حكمُ لبيدِ

يقوم هنا ابو تمام بمقارنة جمالية ثقافية مزدوجة قوامها شخصيات حاضرةٍ في ذهن المتلقي او هكذا يفترض ابو تمام ، الشخصية الاولى ، شخصية مسعود ، لكننا قبل ان نتوقف عندها لا بد ان ننظر الى الابيات السابقة التي استدعت حضورها وهي ابيات مقدمة ابي تمام . فعلى طريقة ابي تمام في التنويع والتجديد في المقدمات راح يستلهم التراث العربي السابق (٣٩) وعلى طريقة الشعراء السابقين يذكر الاطلال ، لكنه يذكرها بروح عصره ، عصر التعليل والسبب ، وهنا يستحضر شخصية مسعود (٤٠) على اعتباره موروثاً ثقافياً ، وعندما

نعود الى كتب التراث والادب نجد ان مسعودا هذا شاعرٌ عُرف بالبكاء على الديار والاطلال ، وهنا تكمن امكانية ابي تمام الثقافية في الموازنة وكأنه في سعيه الدائب الى خلقِ نصوص لا تنتهي تكسب خلودها من روافد شتى وبهذا يخلد هو بخلود هذه النصوص . لقد كان ابو تمام مشغولاً في دفع فكرة كانت تأرقه وهي حقيقة الموت ، اذ كان يدفعه الى محاولة البقاء او في محاولة لقهر الموت الذي غالباً ما وجدنا الشعراء يخافونه او يصارعون هذا الموت من خلال كسر الزمن (٤١) .ثم يستحضر موازنة عقلية اخرى وهي حكم لبيد مع صبره وتجلده هو . فاذا ما نظرنا الى دعوة لبيد وحكمه داعياً بناتهُ الى ان يقمن عند قبره حولاً ثم يتركن القبر ، ادركنا مدى مقاربة ابي تمام الثقافية ضمن منظومة واحدة قوامها دفع الموت من خلال تجدد الحياة (ظعنوا فكان بكاي حولاً بعدهم) ثم ارعوى ولاذ الى التصبر اي عاد الى الحياة .

يقـــول : (٤٢)

واذا رأيتك والكلام لآلي ءُ تؤم فبكر في النظام وثيبُ

فكأنّ قُسا في عكاظ يخطبُ وكأنّ ليلى الاخيلية تندبُ

وكُثير َعزّة يوم بيّن ينسبُ وابن المقفع في اليتيمة يسهبُ

يقوم ابو تمام بموازنة جمالية عمادها ثقافي ، فهو يوازن بين الشخصية وبين اربعة اركان من الموروث الثقافي والحضاري الذي لا يغادر ذاكرة المتلقي . ونحن نعلم ان ابا تمام كان ساعياً نحو متلقٍ مثقف من خلال رسالة عميقة من مرسلٍ واعٍ ، فهؤلاء الاربعة هم اعلام ورموز في ميادينهم الادبية فقس بن ساعدة الايادي هو اشهر خطباء الجاهلية ، لكن ابا تمام عززه بذكر المكان عكاظ اثناء الخطابة ، ثم اردفه بليلى الاخيلية وهي من عُقيّل اذ كانت معروفة في رثاء توبة بن الحُميرّ ، وذكر كثير وهو احد شعراء الغزل العذري في الاموية وقرنه بالزمان في يوم بين ينسبُ ، ثم جاء على ذكر فاتح الافق الجديد للسردية العربية القديمة وهو ابن المقفع في كتابهِ (كليلة ودمنة) الذي كان يسمى اليتيمة في ميدانه قبل ان تغلب عليه شهرة يتيمة الدهر للثعالبي . وهو يقدم بصيغ جمالية وفكرية باطار سردي . وكانه ينتقل بالمتلقي الى كهوف معرفية فكما اضاء له شيئاً اراد ان يريه اياه انتقل بهِ الى لوحة اخرى على جدار الكهف ليتأمل في منحوتة ثانية ثم لا يلبث ان ينتقل به الى ثالثة وهكذا ، وكان ابا تمام بهذهِ النصوص المتناظرة والمتناقضة احياناً يفتح النوافذ للبقاء والخلود والاستمرار والبقاء لنصهِ الذي هو يخلد بخلوده لهذا يقول بعد هذهِ الابيات (٤٣) :

تكسو الوقار وَتَستحفُ موقّراً طورًا وتُبكي سامعين وتُطربُ

هنـاك نمـاذج اخـرى مـن الشخصـيات المقارنـة منهـا مغفنـون وشخصـيات امثـال وشخصـيات خرافيـة . مـن ذلـك مـا عقـده مقارنـة فـي موضـوعة المـديح بـين موقعـةٍ وبـين احـد ابـرز المفتـين فـي عصـرهِ : (٤٤)

فمهما تكن من وقعةٍ بـَعدُ لا تكن سوى حـَسَنٍ مما فعلتَ مُرددِ

محاسن اصناف المغنين جمةٌ وما قصبات السبق الا لمعبدِ

ان ابـا تمـام فـي سـعيهِ المسـتمر عـن مـا هـو جديـد ، وفـي تنويعـهِ علـى هـذهِ المقارنـات يختـار شخصـية مـن عصـره اسـهمت الـى جدّ بعيـد فـي نشـر الثقافـة ويعـد علمـًا فـي الفنـاء وهـو معبـد ، لكـن الغريـب هنـا ان يوضـح بـهِ مكانـة الموقعـة التـي حـدثت (٤٥) . انهـا روح ابـي تمـام المغـامرة الباحثـة عـن دفـع مـا هـو اتـي بمـا هـو بـاقٍ وخالـد ، ولكـي يؤكـد هـذا ويؤكـد قيمـة حضـوره يردفـه بثنائيات (٤٦)

جلوتَ الدجى عن اذربيجان بعدما تردتْ بلون كالغمامة أربدِ

وكانتْ وليس الصبح منها بابيضٍ فامستْ وليس الليل منها باسودِ

كـذلك يسـتخدم ابـو تمـام الشخصـيات الاسـطورية ، وهـي التـي حاكتهـا مخيلـة جماعيـة نحـو قولـه موازنـاً مـع الزّبـاء ، الشخصـية الاسـطورية التـي تمـت للواقـع بصـلة بسـيطة . لكـن ممـا فيهـا مـن الخيال والاسطرة أبعد ويبدو ان هذا جذب ابا تمام ليقول : (٤٧)

واذا رنت خلت الظباء ولدنها ربعيّة واسترضعتْ في الربربِ

انسية ان حـُصـّلت أنسابها جنية الابوين ما لم تنسبِ

قلد قلت للزباء لما اصبحتْ في حدّ نابٍ للزمان ومِخلبِ

وهـو استرسـال فـي المقارنـة ، وكانـّهُ ينسـب هـذه الفتـاة الـى الزبـاء وهـي شخصـية اسـطورية فـي اسـتعارة لا تكـاد تستشـعر طريقهـا ، ((بعـد ان كانـت الشـعراء تجـري علـى نهـج مـن الاسـتعارة قريـب مـن الاقتصـاد حتـى استرسـل فيـه ابـو تمـام ، ومـال الـى الصـفة فاخرجـهُ الـى التصـدي وتبعـهُ اكثـر المحـدثين)) (٤٨) وهـي طريقـة مبتكـرة عنـد ابـي تمـام سـعياً منـه فـي الاتيـان بمـا هـو جديـد ، وضـمن هـذا الجديـد كـان يفـتش فـي التـراث ويخلـص مـن الشخصـيات مـا يعـزز بـهِ منهجـه الجمـالي القـائم علـى المقارنـة بـين مـا هـو متـداول ومعـروف وراسـخ فـي الـذهن وبـين مـا يريـد ان يرسـخه بـهِ من خلال المقارنة .

مقارنات التشبيه الضمني :

اللـون الاخيـر مـن المقارنـات الجماليـة عنـد ابـي تمـام هـو مقارنـات التشـبيه ، ولا يـدخل كـل تشـبيه هنـا ضـمن هـذا الاطـار ، والعينـة التـي اختارهـا البحـث تنسـجم مـع طبيعـة المقارنـات الجماليـة وتحديـدًا التشـبيه الضـمني الـذي يقـوم اساسـًا علـى تشـبيه صـورة بصـورة اخـرى مـع حـذف اداة التشـبيه ووجـه الشـبه هنـا هـو المقارنـة الجماليـة المقترنـة فـي ذهـن المتلقـي مثلمـا كانـت حاضـرة فـي مخيلة ابي تمام يقول (٥١) :

وطولُ مقامِ المرء في الحيّ مُخلقٌ لديباجيته ِ فاغتربْ تَتَجددِ

فأنّي رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً الى الناسِ أنْ ليستْ عليهم بسرمدِ

فهـو يعتمـد اسـلوب الاغـراء فيمـا يعلـي مـن شـأن السـفر والرّحـال والتنقـل ، وهـو وجـهٌ مـن وجـوه شخصـية ابـي تمـام الباحثـة عـن ذاتهـا وعـن مجـد وبقـاء ، وكأنهـا تعلـم بـان الحيـاة بمحـدوديتها لا بـد ان تسـتغل حتـى تكـون سلمـًا للبقـاء بعـد المـوت الـذي مـا بـرح ابـو تمـام يبتعـد عنـهُ بمـا يدفعـهُ ويبقيـه مـذكورًا بعـد حصـول المـوت، لهـذا نجـد ان السـفرَ والتغييـرَ والتجديـد وجـوهٌ عـدة لشخصـية ابـي تمـام المغـامرة ((والكثيـر مـن شـعره يتضـح بهـذهِ الـروح المغـامرة)) (٥٢) التـي لازمـت ابـا تمـام كثيـرًا . يقول مثلاً (٥٣)يقول ابو تمّام:

لما اظلتني غمامك اصبحت تلك الشهود علي وهي شهودي

من بعد ان ظنّوا بانْ سيكون لي يوما ببغيهم كيوم عَبيدِ

نزعو بسهم قطيعة يهفو به ريشُ العُقوق فكان غير سَديدِ

ثم يقول:

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ طويت اتاحَ لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النارِ فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العودِ

فالمقارنـة هنـا تقـوم بـين صـورتين متجـاورتين ، لكنهمـا لا يبقيـان ضـمن مـا هـو ظـاهر مـن الملامـح العامـة للصـورة ، وانمـا لكـل منهمـا خلفيـة وتفاصـيل ، وهـذهِ التفاصـيل اعتمـدت المقارنـة بـين سـعي الحسـود فـي ايـذاء صـاحب الفضـيلة والمكانـة وبـين المـردود مـن ذلـك العمـل ايجابيـًا ، فأنـهُ ينفـع مـن حيـث يريـد ان يضـر والصـورة المقارنـة الاخـرى هـي صـورة النـار التـي تحـرق مـا يـدور حولهـا ، وتكـون احـدى نتـائج هـذاالاحتراق اكتشـاف الرائحـة الزكيـة للعيـدان المجـاورة . ولعـل هـذهِ

الصورة مقارنة بتلك الصورة تقوم على مقاربة الاكتشاف ، والاكتشاف هنا فعل عقلي محض يأتي بالتدبر والتفكير وهو ما عكف عليهِ ابو تمام في ان يكون الشعر عنده وبعده عقليًا ، او ان يراوح بين العقل والحس ، بل وضمن سعيه في التوفيق بين الجديد والقديم ، وانْ غلب عليه الجديد ، على اعتباره صورة من صور شخصية ابي تمام ((ذلك الجديد الذي اتى بهِ الشاعر ، وهزّ من خلاله المسلمات السائدة حول الشعر ، فمن وجهة طرح ابي تمام نوعًا من اعادة النظر بالتصور العام السائد للشعر في زمنهِ من حيث انّهُ احدث خللاً فيهِ حين بين قصورهُ عن استيعاب انتاجهِ الشعري)) (٥٤) .

وهذا اللون من التشبيه الذي قوامهُ المقارنات الجمالية ، لا يقف عند حدود المقارنة ولا عند حدود التشبيه بل هما يتمازجان داخل فكر ابي تمام فهو في هذا اللون يعتمد على المقارنة بين ما هو غريب ، وغير معقول او لنقل ما هو مدهش وبين ما هو بديهي وطبيعي . ولا شك ان هذا يعتمد على محاكاة ما هو مشهور حتى يجعل متلقيه ينساق وراء ما يقول لذاصنفت عند ابي تمام في باب الحكمة ، والحكمة كما هو معروف مساحتها العقل يقـــول (٥٥) :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

ان اختصار المسافة بين طرفي المقارنة (المقارَن والمقارن به) تجعل ضبط التأمل مشدودًا وكان ابا تمام لا يريد لمتلقيه فرصة التأمل الطويل ، بل هو يفرض عليه ما يمليه فرضًا حتى يجعله مقتنعًا باسرع ما يمكن بما يقول .

ولكنّ هذين الطرفين وهما الدال والمدلول (المشبه والمشبه به) للتوضيح والمقارنة بعدها يأتي البعد الاخر وهو البعد الجمالي لهذهِ المقارنة ،يأتي بابعاد عدة . منها الصياغة اللغوية وانزياحات التراكيب (لا تنكري) فالاسلوب هنا طلبي (ثم عطل الكريم) وهو بعد استعاري صوري ، في ذات الوقت هما يتلاحمان في تشكيل صورة المقارن ، فاذا ما انتقلنا الى صورة المقارن به نجد مدلولاً اخر يوازي الدال الاول السيل وهو ما يقابل الغني في حرب وتضاد، وهو بناء استعاري يقابل عطل الكريم – المكان العالي ، عظمة المكانة التي يحققها الكرم .

ومثل هذهِ المقارنة الجمالية القائمة على التشبيه الضمني نجدها تعتمد على تراتب نصي ، اي انه يجمع بين المقارنة الجمالية والتناص يقول رادًا على الكندي الذي اعترض على رموز ابي تمام (٥٦)

اقدامُ عمرٍ في سماحةِ حاتمٍ في حلمِ احنفَ في ذكاءِ اياسِ

فقال الكندي الامير فوق من وصفت ، فقال ابو تمام مرتجلاً :

لا تنكروا ضَربي لهُ من دونهُ مثلا شرودًا في الندى والبأسِ

فالله قد ضربَ الأقل لنورهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فالمقارنة هنا جمالية تناصية مع القرآن الكريم ، لكنه لا يذوب النص القرآني ، وانما يشير اليه بمفرداته التي تحيل الى قوله تعالى في سورة النور ((الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة))

لكن ابا تمام هنا وسع دائرة البرهان لدرجة ان الالمام بابعاد الصورة الخارجية اصبح شبه مستحيل على اعتبار ان الصورة القرآنية التي يرسمها النص الكريم للنور الالهي في جانبين محدود يتحول الى ممكن وهو نور المشكاة ، وممتد الى درجات لا يدركها الاحتيال مخلق وهو نور الله ، لهذا يستغل ابو تمام هذهِ للافادة منها برهانا على ما يقول .

مقارنات اخرى :

هناك مقارنات تخرج عن اطار الاحداث والاشخاص حين يعتمد على ما هو طبيعي وكان ابا تمام وضمن سعيهِ الدائب وطموحهِ المستمر في تأسيس مشروع شعري يخرج بهِ من دائرة الوجدان والاحاسيس المفرطة والعاطفة العمياء الى العقل حتى يجعل هذا الشروع الثقافي اكثر بقاء واستمرارًا ورسوخًا .يقـــــول (٤٩)

غادرتَ فيها بهيم الليل وهو ضحى يشلهُ وسطها صبح من اللهبِ

حتى كأنّ جلابيب الدجى رغبت عن لونها وكأنّ الشمسَ في حجبِ

ضوء من النارِ والظلماء عاكفة وظلمة من دخانٍ في ضُحى شحبِ

فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أفلتْ والشمس واجبةٌ من ذا ولم تَجبِ

فهو يقارن بين الشمس الحقيقية وبين ضوء الحريق وما يرافقه من دخان وظلمه من جهة اخرى لكنهُ لا يقدمه هكذا بهذا بالشكل التقريري ، وانما يشكل جمالي يختلف . حيث تلعب الالوان دورًا في رسم الصورة ، ترافقها استعارات نهاية في الخيال . ولانه يدخل في عوالم سحرية . فأنهُ يعود الى عوالم العقل فيعتمد الى المقارنة وكانه يُخلص النص من الافراط في الخيال ، اذ تقوم مقارنتهُ بين الشمس الحقيقية وثار الموقعة . ثم يجعل من الشمس الحقيقية الواجبة الحضور يجعل لها الاقوال ، وهو ناموسها الطبيعي بينما نار الموقعة اصبحت واجبة الحضور والاستمرار ، وهذا ليس من نشأتها لكنه يريد ان يجعل من المقارنة الطبيعية مدار اهتمام لتكون خالدة باقية باستمرار عظمة الحدث .

هنـاك مقارنـات زمانيـة اي انـه يعتمـد علـى مقارنـة تكـون اللبنـة الاسـاس فيهـا الزمـان مقارنـاً إيـاه بزمن آخر يقول في مدح المأمون (٥٠) :

دمَـنٌ المّ بها فقال سلامُ　　كم حـَلّ عقدة صبره المامُ

اعوام وصل كاد ينسى طولَها　　ذكرُ القوى فكانها ايام

ثم انبرت ايام هجرت اردفت　　بجوى اسى فكانها اعوامُ

ثم انقضت تلك السنون واهلها　　فكأنّها وكأنهم احلامُ

انهـا مقارنـات ثقافيـة جماليـة قوامهـا الزمـان ولـيس جديـدًا وقـع الزمـان علـى الانسـان بـالرغم مـن وهميـة وجـود الزمـان ، بـل ولـيس غريبـًا ذكـر تناقضـاته ، ولـيس غريبـًا ان يسـقط الشـاعر همومـه علـى الـزمن ذلـك الكـائن الخرافـي حينـًا والمخيـف حينـًا آخـر والآمـن الـودود مـرة ثالثـة . لكـنّ الغريـب ان ابـا تمـام يـوازن داخـل الجزيئـات مـع اهتمامـه بالاطـار العـام للصـورة فـي وقـت واحـد ، المقارنـة بـين زمنـين باحساسـين مختلفـين بالنسـبةِ لشـخص واحـد . بـين اعـوام وصـل اضـحت بمـا تتركـه مـن احسـاس بالغبطـة والراحـة تتحـول الـى ايـام قصـيرة ، انـه شـعوره بهـا انهـا قصـيرة ، وبـين ايـام هجـر اردفـت واعقبتهـا ، ولانهـا كانـت تحمـل الاسـى والحـزن فاصـبح الشـعور بهـا كأنهـا اعـوام . لكـن المـدهش اكثـر ان ابـا تمـام يـردم الهـوة حـين يعـود الـى سـطوة الـزمن وقوتـه التـي لا تقهـر . حينمـا يجمـع الاثنـين داخـل احسـاس واحـد وشـعور مـزدوج عنـدما تنقضـي تلـك السنون والايام واصلهما معها لتصبح حلمًا من الاحلام .

الخاتمة:

تنـاول هـذا البحـث بالمتابعـة والتحليـل والاسـتنتاج واحـدة مـن مميـزات شـعر ابـي تمـام وهـي المقارنـات الجماليـة ،وهـي نسـيج شـعري وبنـاء ابـداعي يسـتمد قيمتـه مـن تلـك المقاربـات والمقارنـات واسـتخدامات الاثـار التراثيـة وغيرهـا فـي شـعر ابـي تمـام ولكـن الاسـتخدام هنـا يختلـف عنـد ابـي تمـام فهـو يعتمـد المقارنـة ولهـذا غالبـا مـا يعمـد الـى ان يجعـل مـن هـذه المقارنـات عنصـر تعميـق لنصـه الشـعري حتـى يكسـبه الاسـتمرار والبقـاء والخلـود ،علـى اعتبـار ان هـذا الخلـود لنصـه سـيكفل لـه خلودا مع ذلك النص.

ومـن خـلال تتبـع تلـك المقارنـات وجـدها البحـث تنقسـم الـى اقسـام و انمـاط وهـذا مـا عمـل البحـث علـى ضمه في هذه المجاميع والا فهي متفرقة في ثنايا ديوان ابي تمام الشعري.

وجد البحث ان مقارنات الاحداث تمثل معلما خاصا وواسعا وتقوم عللى ذكر بعض تفاصيل حدث معين له قيمة تاريخية و ادبية وتطويع خلفية الاثر بما يعزز شعر ابي تمام و كانه هنا يعزز هذه الاحداث والبرهنة على ان ما يدعي له ليس ضربا من الخيال و انما هو مشابه لواقع قد حصل.

اما النمط الثاني فهو مقارنات الشخصيات،فهو يعمد الى استحضار شخصيات ذات صلة بالواقع او انها من صنع الذاكرة الحميمية العربية ومؤثرة ايجابا او سلبا ومقارنة هذه الشخصيات او مقارنة مواقف لها مع مواقف او احداث اراد ابو تمام الافادة منها في تعزيز نصه الشعري وقد جاء هذا

هناك نمط اخر وهو قائم على التشبيه اي ان اساس المقارنة هنا فني بلاغي قائم على التشبيه وغالبا مايكون هذا معتمدا على التشبيه الضمني او هو ياتي ضمن سعي ابي تمام في ان يبرهن على ان مايقوله ليس ضربا من الخيال وانما له صلة بالواقع ،وهذا منهج ابي تمام العقلي ويبدو ان هذا جاء بتاثر ابي تمام بالفلسفة والمنطق الذين سادا في عصره

ثم هناك مجموعة من المقارنات الاخرى التي لاتدخل ضمن هذه الانماط ،وانما جاءت متفرقة ولكنها اشتركت مع الانماط السابقة في نسق المقارنة الجمالية

ويبدو ان الواقع لهذا الاستخدام من ابي تمام انه كان يسعى الى ترسيخ نصه وبقائه متحديا تعاقب الازمنة حتى تضمن لنفسه الخلود مع خلود وبقاء هذا النص.

الهوامش :

(١)- ينظر : ابو تمام د. علي شلق ص ٤٠-٤٢ وتاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول ، د.شوقي ضيف، ٢٦٨ ، وابو تمام الطائي محمد نجيب البهبيتي ص و الثابت والمتحول ،ادونيس.و في النص الشعري العربي ،د. سامي سويدان ص ١٠٠ .

(٢)- الديوان ٢ / ٨٧ وينظر صورة الاخر في شعر المتنبي ، ٣١ .

(٣)- الديوان ٢ / ٨٦ .

(٤)-الديوان ١ / ١١٨ .

(٥)-ينظر جدلية ابي تمام عبد الكريم االطائي ص والثنائية الضدية في نماذج من الشعر العباسي ، د.ماجد عبد الحميد الكعبي ، مجلة اطراس ع٢ س ١ ص ٦٥ وابو تمام ، د.علي شلق .

(٦)-الديوان ١ / ٢٤ .

(٧)-الديوان ٣٥١/٢.

(٨)-الديوان ١٩٢/١.

(٩)-الاغاني ١٥ / ص١٠٠ والموازنة بين الطائيين للامدي ص وشرح ابيات مشكل ابي تمام المفردة للمرزوقي ٩٤ وما بعدها .

(١٠)-ينظر مقدمة القصيدة في العصر العباس الاول ، د. حسين عطوان ١٨٩ .

(١١)-ينظر جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ص ٣٧٠ .

(١٢)-الثابت والمتحول ، اودنييس ج٢ الكتاب الثاني ١٧٧ .

(١٣)-ينظر، عيار الشعر ابن طباطبا العلوي ٩-١٠ .

(١٤)-الديوان ١ / ١١٥ .

(١٥)-علم التناص المقارن، ١٣٩ وينظر التناص في شعر ابي العلاء المعري ، ١٢ .

(١٦)-في معرفة النص الشعري ، د.يمنى العيد ٢٤ .

(١٧)-الديوان ١ / ٢٠٠ .

(١٨)-ديوان الفرزدق ٤٣٣ .

(١٩)-ديوان زهير

(٢٠)- تشريح النص ، ١٢ .

(٢١)- الخطيئة والتكفير ، ٣٢٢ . (نقل النص من التناص في الشعر العربي) ص١٣ .

(٢٢) – الديوان ١ / ٢٠٢ .

(٢٣) – الثابت والمتحول ، ٦٣ .

(٢٤) – الديوان ١ / ٥٥ .

(٢٥) – الثنائية الضدية في شعر ابي العلاء المعري ، ص٢١١ – ٢١٢ .

(٢٦) – الديوان ٥٥/١ .

(٢٧) – المؤلفة قلوبهم وهم مجموعة دخلت الى الاسلام بتاثيراغراء المادةوقد ذكرهم القرآن الكريم في آية الصدقة ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملبن عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين.....)) ومنهم

(٢٨) – الادب والغرابة عبد الفتاح كليطو ٥٤ .

(٢٩) – الشعر في الحاضرة العباسية ١٢٧ .

(٣٠) – ينظر التناص في شعر ابي العلاء المعري ١٤٧ .

(٣١) – الديوان ١/ ٢٤٥ .

(٣٢) – الديوان ١ / ٤٠ - ٤١ .

(٣٣) – ينظر تراسل الحواس في الشعر العربي القديم د.عبالرحمن محمد الوصيفي٨-١٠

(٣٤) – الديوان ١ / ٨٨ .

(٣٥) – ديوان امريء القيس .

(٣٦) – التناص في شعر المعري ٣٢.

(٣٧) – الديوان ١ / ١٣٨ .

(٣٨) – الديوان ١ / ٢٠٧ .

(٣٩) – ينظر شرح مشكل ابيات ابي تمام للمرزوقي تح خلف رشيد نعمان ١٥٧ ومقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي ، د. حسين عطوان .

(٤٠)- مسعود :هو مسعود بن عمر الازدي .

(٤١)- ينظر في معرفة النص ، د. يمنى العيد ٢٤ .

(٤٢) – الديوان ١ / ٨١ .

(*)- تؤم اللآلي :الكبيرة .والثيب المرأة التي دُخل بها .

(٤٣) – الديوان ٨١/١ .

(٤٤) – الديوان ٢٤٨/١ .

(٤٥) – ينظر ابو تمام ، د. علي شلق ٩٦ – ٩٧ .

(٤٦) – الديوان ٢٤٩/١.

(٤٧) – الديوان ١ / ٦١ .

(٤٨) – الوساطة ، للجرجاني ٣٢٤ وينظر امراء الشعر العباسي ١٩٣ .

(٤٩) – الديوان ٢ / ٧٢ ، وينظر الحرب والقتال في شعر ابي تمام أ. د. مزهر السوداني مجلة اطراس ع ١ س ١ ص ٥٠ .

(٥١) – الديوان ١ / ١٤٥ .

(٥٢) – امراء الشعر في العصر العباسي ، انيس المقدسي ١٩٠ ،وينظر حرباء النقد،د.حسين الواد ١١٥ .

(٥٣) – الديوان ١ / ٢١٣ .

(٥٤) – في النص الشعري العربي ، سامي سويدان ١٠٠ .

(٥٥) – الديوان ٢ / ٣٧ .

(٥٦) – الديوان ١ / ٣٦٢ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١ – ابو تمام ، د. علي شلق ،دار ومكتبة الهلال بيروت .

٢ – ابو تمام ،حياته وشعره، محمد نجيب البهبيتي ،مطبعة دار الكتب المصرية،,١٩٤٥

٣ – اخبار ابي تمام ، ابو بكر الصولي ، منشورات الجمل تح محمود خليل عساكرو محمد عبده عزام ، بيروت بغداد ٢٠١٦ .

٤ – الاغاني ، تأليف ابي الفرج الاصفهاني / سلسلة تراثنا ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .

٥ – امراء الشعر في العصر العباسي / انيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت د. ت ، د ط.

٦ – الادب والغرابة ، عبد الفتاح كليطو،دار طوبقال للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء،ط٣، ٢٠٠٦.

٧ – تشريح النص ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ط ٢ ، ٢٠٠٦ .

٨ – تاريخ الادب العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر د. ت ، د ط .

٩ – تراسل الحواس في الشعرالعربي القديم ،د.عبدالرحمن محمد الوصيفي ،الهيئةالعامة السورية للكتاب ،دمشق ٢٠٠٨.

١٠ – التناص في شعر ابي العلاء المعري ابراهيم مصطفى محمد الدهون ،عالم الكتب الحديث،٢٠١١.

١١ – الثابت والمتحول ،بحث في الابداع والاتباع ،ادونيس ،دار الساقي ،ط١٠، ٢٠١١ .

١٢ – الثنائية الضدية ، د. ماجد عبد الحميد الكعبي ، مجلة اطراس ع ٢، س ١ ، ٢٠٠٦ .

١٣ – جدلية ابي تمام ، عبد الكريم اليافي ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٨٠ .

١٤ – جواهر البلاغة،احمد الهاشمي،احمدالهاشمي ،داراحياء التراث العربي،بيروت ،ط١٢ ،دت.

١٥ – الحرب والقتال في شعر ابي تمام ، أ.د. مزهر السوداني ، مجلة اطراس ع١ س ١ ٢٠٠٥ .

١٦ – الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، عباله الغذامي ط٤، ١٩٩٨ .

١٧ – ديوان ابي تمام ،تح راجي الاسمر،دار الكتاب العربي بيروت ،بيروت ٢٠٠٧ .

١٨ ـ ديوان الفرزدق ،شرحه وضبطه علي خريس ،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت لبنان ، ط١،١٩٦٦ .

١٨ـ ديوان امريءالقيس ،دار صادر،بيروت ،دت .

١٩ – الشعر في الحاضرة العباسية في القرنين الثاني والثالث الهجريين،د.وديعة طه نجم ،ط١ ،١٩٧٧ .

٢٠- شرح مشكل ابيات ابي تمام المفردة ،للمرزوقي ،عالم الكتب ،١٩٨٧ .

٢٠- صورة الآخر في شعر المتنبي ، محمد الخباز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١ ٢٠٠٩ .

٢١ – عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ِ شرح عباس عبد الستار.

٢٢- علم التناص المقارن ، عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيق ، عمان الاردن ط١ ٢٠٠٦ .

٢٣- في معرفة النص،د.يمنى العيد،دار الاداب بيروت ،ط٤، ١٩٩٩.

٢٤ – في النص الشعريالعربي مقاربات منهجيّة، د.سامي سويدان ، دار الاداب ،ط٢ ،١٩٩٩

٢٥ – الموازنة بين ابي تمام والبحتري،للامدي ،تح احمد صقر،ط ٥ ،دارالمعارف مصر.

٢٦ – التناص في شعر ابي العلاء المعري،ابراهيم مصطفى الدهون ،عالم الكتب الحديث ،٢٠١١ .

٢٧ – مقدمة القصيدة في العصر العباس ، د. حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧ .